الاشقياء واعظمهم من الفقهاء الفاسدين ليتوجه الى بعض البسطاء او المغفلين ويوهمهُ بانهُ مسحور بعمل من السحر وانهُ يمكنهُ التوجه الى من يعرف صناعة المندل فيشفيهِ فيعتقد ذلك المغفل انهُ معقود ثم يعتقد انهُ شفي

احمد السيد

تبع قسم كرموز باسكندرية

باب التقريظ والانتقاد

تاريخ الآداب العربية

هو سفر جليل في نحو ٧٠٠ صفحة تأليف احد اخوة المدارس المسيحية المسماة بالفريز خص فيهِ تاريخ الآداب العربية منذ نشأتها الى الآن بذكر الذين اشتهروا من ارباب الانشاء كالشعراء والعلماء وكبار المنشئين فترجم فيهِ اكثر من ٣٠٠ عالم وشاعر ومنشئ وذكر طرفاً من سيرة كلٍّ منهم واشعارهِ وبليغ كلامهِ وتاريخ وفاتهِ بالحساب المسيحي والهجري والحق كل صفحة بحاشية فسَّر فيها ما في الصفحة من الكلام اللغوي . وقطع الكتاب معتدل وطبعهُ حسن

ونحن قلما ننتقد كتاباً الاَّ اذا وثقنا ان مؤلفهُ يرحب بالانتقاد او كان في الكتاب اغلاط فاضحة الاغضاء عنها يجلب الضرر على قرائهِ

ويظهر لنا ان مؤلف هذا الكتاب من واسعي الصدر الذين يرحبون بالانتقاد . وكتابهُ على حسن تبويبهِ وترصيفهِ يراهُ يستدعي الانتقاد في ثلاثة امور غير جوهرية في نظرنا لانها لا تمس جوهر الكتاب وفي امرين جوهريين . الاول من الامور غير الجوهرية التعرض لعقائد بعض الرجال الدينية فان الكلام على العقائد ليس من موضوع الكتاب . واذا رأى المؤلف ان يتعرَّض لها لان مذهبهُ يوجب عليهِ ذلك فتسعة وتسعون في المئة من الذين ذكر ترجمتهم يخالفونهُ في المذهب وينكرون اهم اركان دياناتهِ ولكنهُ خص اثنين منهم بالذم لفساد العقيدة ابا العلاء المعري وعمر الخيام فقال عن المعري انهُ « لم يرَ في اختلاف مذاهب العبادة سوى اسباب لاحتقار الآخذين بها » وقال عن عمر الخيام « انهُ كان واهي العقيدة دهري المذهب مرميًّا بالالحاد والتعطيل يشر زندقتهُ تحت براقع التمويه من القول بتطهير الحركات البدنية لتنزيه النفس الانسانية وتحدث بكفرهِ وفساد آرائهِ وكادت

لتهتك استار دهائه ورثائه تخشى على دينه وامسك من عنان لسانه وقلمه وحج تضليلاً للعقول»

ولا ندري ما الفرق لدى خادم الدين المسيحي المؤمن بتعاليم الكنيسة بين الدهريين وناكر التثليث وناكر الوهية المسيح

ومن الغريب انهُ لما ذكر المتنبي اتى عليهِ باللوم لادعائهِ النبوة وهو ليس من موضوع الكتاب ولكنهُ لم يلمهُ على ابياتهِ السمجة في قصيدتهِ التي ذمَّ بها ابن كيغلغ وهي من موضوع الكتاب بل قال انهُ « كان وقوراً رصين المقال لا ينطق بالكذب والهزل »

هذا ولا ندري ايضاً ما حشر عُمر الخيام بين شعراء العرب فانهُ فارسي وشعرهُ المشهور فارسي ولم يروَ لهُ في العربية الاَّ اربعة ابيات واملها مترجمة من الفارسية . وقد قرأنا ترجمة فتزجرلد لبعض رباعياتهِ وجانباً من ترجمة جنصن باشا لها فلم نجد فيها شيئاً يدل على انهُ كان زنديقاً او ملحداً او دهرياً بل هو على الضد من ذلك موحّد يعترف بوجود الله وقد ترجمنا بعض اشعارهِ عن ترجمة فتزجرلد ونشرنا ترجمتنا وترجمة وديع افندي البستاني في مقتطف مارس سنة ١٩١٢ قال وديع افندي

نحن تلك الكرات والخيّال هو رب القضا وهذا المجال

وقانا نحن وربُّ الصوالج يدري مسير كرات رماها بقصد ارتياض

وقلنا في ترجمة رباعية اخرى

يراها الالهُ الذي قد برانا فشكراهُ غنم وفرض علينا

وذلك دليل قاطع على ان الخيام لم يكن دهرياً كما رماهُ حضرة المؤلف

والذين تمنوا في رباعيات عمر الخيام من الانكليز والاميركيين رجالاً ونساء انشأوا حلقات لمطالعتها وهم يجلّون مقامهُ ويفضلونهُ على كل الذين حاربوا اهل الاوهام والخرافات وسالبي اموال الناس بحجة الدين

والثاني قلة الانصاف احياناً فاذا ذكر المرسلين الاميركيين الذين منهم الدكتور فان ديك ذكرهم « خافٍ » واذا ذكر الجزويت قال اليسوعيون الافاضل . واذا ذكر الروم الارثوذكس قال الروم غير الكاثوليك كأن كلمة ارثوذكس (اي مستقيمي الرأي) ثقيل على طبعهِ . وافرد سطرين للكلام على المطبعة الاميركية في بيروت ونصف صفحة للمطبعة الكاثوليكية . وذكر مطابع الفرنسيسيين في القدس ولم يذكر مطبعة الارثوذكس . الى ان قال « ومن هذه اللمحة الخفيفة التي القيناها على تاريخ الطباعة يتضح جلياً لكل ذي عينين ما لرجال الدين الكاثوليكي من المآثر الغراء والمساعي المشكورة في تمهيد السبل لهذه النهضة الشريفة وتوفير

اسبابها الخ » اما الروم الارذكس والبروتستانت فشأنهم صغير في عينيهِ على ما يظهر وقلما ذكر احداً من نوابهم واذا ذكر غيرهم وضعهم في السماء السابعة ولو لم يكن بعضهم على شيء يؤهلهُ للذكر في هذا الكتاب

الامر الثالث قلة التدقيق احياناً في ما يسهل التدقيق فيهِ . فلما ذكر المقتطف مدحهُ مدحاً نشكرهُ عليهِ جزيل الشكر ولكنهُ اضاف الى اسمي منشئهِ اسم اخينا المتوفى شاهين مكاريوس وسماهُ ابكار يوس وابكار يوس رجل آخر وهو مؤلف القاموس الكبير الانكليزي والعربي والتاريخ المسمى قطف الزهور ولكنهُ لم يذكرهُ مع غيرهِ من المؤلفين . ومما يدل على قلة تدقيقهِ ايضاً ما نسبهُ الى المقتطف من انهُ « يصوب سهام الطعن والوقيعة الى العقائد المقدسة بدعوى العلم وحرية البحث » . فاننا نؤكد لحضرتهِ انهُ لو طالع مجلدات المقتطف كلها من اولها الى آخرها ما وجد فيها طعناً ولا وقيعة بعقيدة مقدسة لاننا من احرص الناس على احترام العقائد . وهذه الهنات يسهل اصلاحها في الطبعة الثانية من الكتاب

هذا من قبيل الامور غير الجوهرية التي لا تمس جوهر الكتاب في نظرنا اما الامران الجوهريان فاولهما ادخال كثيرين من الذين لا شأن لهم في تاريخ الادب فاننا نفهم بتاريخ الآداب العربية تاريخ الشعر والانشاء والمشهورين من الشعراء والمنشئين الذين يقوم بهم تاريخ الآداب العربية كامرىء القيس والمتنبي والجاحظ والحريري واليازجي والشدياق والبستاني للدلالة على سهم كلٍّ منهم في الآداب العربية . اما سائر المؤلفين من المؤرخين والاطباء والفلاسفة والمترجمين فلا نرى موجباً لذكرهم في هذا الكتاب

والثاني ان تاريخ علم من العلوم يجب ان يدور على تدرج ذلك العلم سواء كان في التقدم او التأخر او البقاء على وتيرة واحدة . فاذا ألفنا كتاباً في تاريخ الطب وجب ان نأتي فيهِ بما يدل على نشوء الطب وتدرجهِ الى ان بلغ الدرجة التي وصل اليها الآن ونذكر الاطباء الذين انشأوا صناعة الطب ورقوها للدلالة على نصيب كلٍّ منهم فيها . وقس على ذلك تواريخ كل العلوم والفنون فاذا كانت الآداب العربية قد وجدت وتدرجت وترقت فلها تاريخ يستحق ان يُكتب حتى يعلم من يطلع عليهِ كيف نشأت وكيف تدرجت في سبيل الارتقاء . وفي هذا الكتاب شيء من ذلك في فواتح فصولهِ المختلفة ولكن الاختصار في هذه الفواتح والاسهاب في ذكر الرجال وعدم الاشارة فيما يستشهد بهِ من اقوالهم الى انهُ مثال جيء بهِ لتأييد القضايا التي ذكرت في الفاتحة كل ذلك يصرف الذهن عن الغرض الجوهري المقصود بالذات وهو تاريخ الآداب الى غرض آخر عرَضي وهو تاريخ الادباء انفسهم

ولكن ينازع قوم في ان الآداب العربية تاريخاً اي تدرّجاً من حال الى حال ويقولون ان الانشاء العربي وضعت اصولهُ منذ الف وثلثمائة سنة بل قبل ذلك وان البليغ من شعر عصرنا هذا يجب ان لا يفرق عن شعر امرء القيس والبليغ من انشاء كتّابنا الآن يجب ان لا يفرق عن انشاء عبد الحميد . ولا يظهر ان المؤلف من هذا الرأي فهذا لو بنى كتابهُ كلهُ على هذه القضية واثبتها بايضاح تاريخ الاداب العربية من اول نشأتها الى الآن والدرجات التي مرّت عليها واسباب هذا التدرج ولهُ الفضل على كل حال

الرمد في القطر المصري

صدر التقرير السنوي الثالث عن معالجة داء الرمد في القطر المصري سنة ١٩١٤ وفيهِ انهُ انشئ في القطر بين سنة ١٩١٤ و ١٩١٤ ستة عشر مستشفى في اماكن مختلفة من هذا القطر واثنان من هذه المستشفيات ينفق عليهما من ريع الهبة التي وهبها السر ارنست كاسل وهي اربعون الف جنيه . واثنان آخران تنفق عليهما مجالس المديريات وثمانية تنفق عليها الحكومة واثنان انفلا لقلة النفقات . وقد كلّف انشاء هذه المستشفيات ٦٨ الف جنيه دفعت منها الحكومة ١٧ الفاً والباقي وهو ٤٩ الفاً جاء من الهبات والاشتراكات وتمامهُ دفعتهُ مجالس المديريات

وقد وجد بالاختبار انهُ يمكن ان يبنى مستشفى دائم للرمد باربعة آلاف جنيه ويكون كامل العدة كافياً لستة عشر مريضاً ينامون فيهِ ولكل المرضى الذي يأتون للعلاج ولو بلغ عددهم ٢٠٠ او ٣٠٠ يومياً

وتوجد المستشفيات الدائمة الآن في البحيرة والغربية والمنوفية والدقهلية والشرقية والفيوم وبني سويف والمنيا واسيوط وسوهاج ولكنها لا توجد في القليوبية ولا في الجيزة ولا في قنا ولا في اسوان . وجدّ لو اهتمّ المزارع الكبير صاحب السعادة ابرهيم باشا مراد ببناء مستشفى للرمد في القليوبية ووقف عليهِ ما يزيدهُ كافٍ للقيام بنفقاته او بنصفها . واهتمّ غيرهُ من اغنياء المديريات الاخرى بانشاء مستشفيات فيها فان عدد المصابين في عيونهم كثير جداً . ويقال في هذا التقرير انهُ عُمل في غضون السنة اكثر من اربعين الف عملية في العيون . وقد بلغ عدد الذين فحصت عيونهم ٣٩٨ ٧٥ وعدد الذين عولجوا منهم ١٢٦ ٠٥٠ ومن الذين فحصت عيونهم وجد ٣٥٩١ من العمي و ٦٤٢٥ من العور . وبلغ عدد المرات التي تردد فيها المستشفون على المستشفيات ٦٨٦ ٠١٢